العمران سنة ١٩٥٠

ما اكثر العجائب العلمية التي تحققت في الربع الاول من القرن العشرين وما اعظم اثرها في سير العمران! اصبح بساط الريح الذي يدور عليه كثير من خرافات الاقدمين حقيقة واقعة فالطيارات على اختلاف انواعها تجوب الفضاء تنقل البريد والمتاجر والمسافرين مع انها كانت ضرباً من المحال منذ خمسين سنة. وكاد حجر الفلاسفة الذي يحوّل الفضة الى ذهب يتحقق بل صار التحويل حقيقة نظرية لا تردّ واصحاب المذهب الجديد في بناء المادة يقولون ان تحويل عنصر الى آخر امرٌ لا يختلفون فيه والعائق الوحيد عن القيام بذلك انما هو كثرة النفقات. وأستنبط اللاسلكي في هذه الحقبة وارتقت آلاته وتعددت مناحي فائدتها فاصبح في الوسع التخاطب بالتلفون اللاسلكي بين انكلترا واميركا وصار نقل الصور الشمسية من بلاد الى اخرى بالراديو من الامور المألوفة والرؤية عن بعد به في حيز الامكان. وكل هذا التقدم لم يكن ممكناً لولا الخطوات الحثيثة التي سار بها علماء الطبيعيات والكيمياء في كشف نواميس الطبيعة وماهية الكهربائية وبناء المادة. ولا بدّ ان يبنى على هذا الرقيّ انقلاب كبير في عادات الناس واحوال معيشتهم. واليك ما قاله الاستاذ لو A. M. Low العالم الانكليزي المشهور في هذا الصدد ملخّصاً قال:

اقدمتُ منذ زمن يسير على القول بأنّ الرؤية عن البعد والتخاطب بالتلفون اللاسلكي بين لندن ونيويورك في حيز الامكان ولا ينقضي زمن طويل قبل تحقيقهما فهزأ بي بعض النقاد وقالوا ان هذه عجائب يستحيل حدوثها

واقول الآن انهُ لا بدّ من ان تطرأ تغيرات كبيرة الشأن في معيشة الناس في العشرين السنة القادمة، فاذا جلس فلان لتناول فطور الصباح وشرع يقرأ الصحف اهتم بمعرفة انباء اميركا اهتمامهُ بمعرفة انباء بلده لان رخص السفر وسهولتهُ وسرعتهُ تكون قد مكنتهُ من السفر الى اميركا مراراً فيصبح لانبائها شأن كبير لديه لمعرفته بها واتصال اعماله بسير الاعمال فيها. واذا كان على جانب من الثروة دفأ بيتهُ بالكهربائية فيستغني عن المواقد والمداخن واشترى آلة للرؤية عن بعد قبل بها كثيراً من الحوادث المهمة التي تقع في اماكن مختلفة. والمرجح ان يتمكن العلماء من استنباط مصابيح كهربائية تغني عن نور الشمس من حيث سنى نورها وخواصهِ الصحية فتبنى البيوت من غير نظر الى اتجاهها حتى يدخلها نور الشمس ولا بدّ ان تتقدم النساء تقدماً كبيراً في العشرين السنة المقبلة لان المستنبطات

الميكانيكية العديدة التي تغني المرأة عن كثير من الجهد الذي تبذلهُ في القيام باعمال الطبخ والتنظيف والتدفئة تحررها من قيود كثيرة تقضي عليها بملازمة بيتها . كذلك ارى ان الاطفال حينئذٍ يربون ويعلّمون جماعات جماعات بعد ما ينظر في ميولهم ومواهبهم نظراً علمياً فتجد المرأة المجال امامها مفتوحاً لمعالجة مختلف الاعمال من غير ان تخلّ بعملها كأمّ وربة بيت . وارجح ان الطبخ في البيت يصبح نادراً فتنشأ مطابخ عامة تطلب منها ربة البيت بالتلفون ما تحتاج اليهِ من الطعام فيرسل اليها ، هذا ان لم يوفق العلماء الى اعداد حبوب او اقراص تحتوي على اهم عناصر الغذاء

ولا يخامرني شيءٌ من الشك في انهُ لا تنقضي عشرون سنة اخرى حتى يصبح الطيران الى اميركا او الهند من الامور المألوفة ويكون على جانب عظيم من السهولة والرفاهة ولا بدَّ حينئذٍ من تغطية الشوارع او سقفها على اسلوب يجعل سطوحها ساحات لنزول الطيارات

وتصبح المخاطبات التلفونية اللاسلكية من اسهل الامور فنتكلم من نشاء بالتلفون اينما كان كلاماً مكتوماً من غير نفقة كبيرة . وقد يصير في حيّز الامكان نقل القوة لاسلكياً من مكان الى آخر كما ينقل الصوت الآن بعد ما يقف العلماء على اسرار التموجات

وعندي ان شيوع التزاوج بين مختلف الامم وسهولة المواصلات والمخاطبات وكثرة الاجتماعات التي تفشو للمناقشة في الامور السياسية والعلمية والاجتماعية تفضي حتماً الى امتزاج اللغات الشائعة بعضها ببعضها . وارجح انهُ يصبح من المستطاع حينئذٍ معرفة جنس المولود قبل ولادتهِ ، وتزداد معرفة الاطباء بالتغذي الصناعي والتحكم بافعالها فيستطيعون معالجة الاطفال الذين يولدون ضعاف البنية حتى يصيروا اقوياء . وقد يغذّى تلاميذ المدارس ويعالجون على اسلوب ينمي فيهم صفات خاصة تحتاج اليها الامة

ولا بدَّ ان يفضي البحث الطبي في السنين المقبلة الى كشف وسائل طبية مختلفة لمعالجة الامراض المستعصية وشفائها والوقاية منها ومن غيرها . ولكني اعتقد ان الامراض العصبية ستزداد انتشاراً فتزيد شدة احساسنا بالنور والصوت حتى لتد نضطر ان نلبس على آذاننا ما يقيها من شدة الصوت كما نلبس على عيوننا نظارات ملونة لتقينا من وهج الشمس

ان ارتقاء العلم يسير في جهتين متناقضتين — نراهُ في الجهة الواحدة يقود الناس الى استنباط قنابل تحشى بالمكروبات وطرايد فتاكة تلقى من الطيارات على البلدان الآمنة واشعة تقتل عن بعد . وفي الجهة الاخرى ترى المستنبطات والمكتشفات العلمية تطوي الابعاد وتقرب الناس بعضهم من بعض وتخفف آلامهم وتريهم عظمة الكون وضعف الانسان